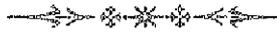


مآثر اسلافهم ولكن حفظها الاوربيون . فاننا لله وانا اليه راجعون

ومازال اهل الغرب يدرون قدرنا

مدى الدهر ما ابدوا من الفضل محجبا

متى يذكر الافضال فيهم خطيبهم على منبر صلى علينا وسلمنا



باب التوحيدي في العلم

﴿ امالى دينية - الدرس ١١ ﴾

(٣٣) الحياة والعلم والارادة والقدرة

الحياة - عرفوها بانها صفة تصحح للتصرف بها ان يكون عالماً صريداً قادراً وقال استاذنا في « رسالة التوحيد » صفة تستتبع العلم والارادة ولا يخفى ان هذه العبارة آدب من الاولى والذي يتراءى انها من الصفات السمعية التي لا يدل عليها العقل بمجرد كإيدل على العلم والارادة والقدرة اذ لا يمكن لاحد ان يتصور ان صناعاً يقوم بصنعة بديمة منتظمة وهو لا يعلم ما يعمل او وهو عاجز عن العمل او ان عمله الذي هو بنائة الاتقان والاحكام يصدر منه على سبيل المصادفة والاتفاق من غير ارادة ولا اختيار . فهذا الكون البديع يدل مباشرة على ان مبدعه عليم حكيم صريد قدير واما دلالاته على انه حي فهي بالواسطة لاننا نعلم ان العالم القادر لا يكون الاحياء ولكن هذا العلم انما جاءنا مما نعهد في انفسنا وامثالنا فوصف الله تعالى بالحياة بناء على انه عالم صريد قادر يشبه ان

يكون من قياس الغائب على الشاهد والتقديم على الحادث وهو قياس غير منتج . ولهذا المعنى صرح من صرح من المتكلمين بان الحياة من الصفات السمية التي لم تثبت لها الا لان الله تعالى وصف نفسه بانه (الحي القيوم) ولكن استاذنا سلك في الاستدلال على ثبوتها بالعقل مسلكاً لم نره لغيره على الوجه الذي قرره فنورده ههنا وان كان يباو عن افهام الكثيرين . قال حفظه الله تعالى

« الحياة - معنى الوجود وان كان بديهيّاً عند العقل ولكنه يتمثل له بالظهور ثم الثبات والاستقرار وكمال الوجود وقوته بكمال هذا المعنى وقوته بالبداهة »

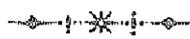
« كل مرتبة من مراتب الوجود تستتبع بالضرورة من الصفات الوجودية ما هو كمال لتلك المرتبة في المعنى السابق ذكره والا كان الوجود لمرتبة سواها وقد فرض لها . ما يجلي للنفس من مثل الوجود لا ينحصر واكمل مثال في أي مراتبه ما كان مقروناً بالنظام والكون على وجه ليس فيه خلل ولا تشويش فان كان ذلك النظام بحيث يستتبع وجوداً مستتراً وان في النوع كان ادل على كمال المعنى الوجودي في صاحب المثال

« فان تجلت للنفس مرتبة من مراتب الوجود على ان تكون مصدراً لكل نظام كان ذلك عنواناً على انها اكمل المراتب واعلاها وارفعها واقواها

« وجود الواجب هو مصدر كل وجود ممكن كما قلنا وظهر بالبرهان القاطع فهو بحكم ذلك اقوى الوجودات واعلاها فهو يستتبع من الصفات

الوجودية ما يلائم تلك المرتبة العليا وكل ما تصوره العقل كمالاً في الوجود من حيث ما يحيط به من معنى الثبات والاستقرار والظهور وامكن ان يكون له وجب ان يثبت له . وكونه مصدراً للنظام وتصريف الاعمال على وجه لا اضطراب فيه يمد من كمال الوجود كما ذكرنا فيجب ان يكون ذلك ثابتاً له فالوجود الواجب يستتبع من الصفات الوجودية التي تقتضيها هذه المرتبة ما يمكن ان يكون له

« فما يجب ان يكون له صفة الحياة وهي صفة تستتبع العلم والارادة وذلك ان الحياة مما يعتبر كمالاً للوجود بداهة فان الحياة مع ما يتبها مصدر النظام وناموس الحكمة وهي في اى مراتبها مبدأ الظهور والاستقرار في تلك المرتبة فهي كمال وجودى ويمكن ان يتصف بها الواجب وكل كمال وجودى يمكن ان يتصف به وجب ان يثبت له فواجب الوجود حي وان باينت حياته حياة الممكنات فان ما هو كمال للوجود انما هو مبدأ العلم والارادة . ولو لم تثبت له هذه الصفة لكان في الممكنات ما هو اكمل منه وجوداً وقد تقدم انه اعلى الموجودات واكملها فيه »
والواجب هو واهب الوجود وما يتبها فكيف لو كان فائداً للحياة يعطيها فالحياة كمال له كما انه مصدرها اه



﴿ الباب الثانى (الولد) من كتاب اميل القرن التاسع عشر ﴾

(١٣) من اراسم الى هيلانه في ٦ يونيه سنة ١٨٥

اعلمي ان اخص ما يجب الرجوع اليه في انشاء طبع الطفل هو علم وظائف الاعضاء وان كانت توجد وسائل اخرى يستعان بها في ذلك

لا ينبغي اغفالها

الوليد يرى في اول امره محباً انفسه منقبضاً عن غيره لضعفه وعجزه عن الاختلاط فوظيفة المربي معه هي ان يمد الي ما وهبه الله (سبحانه) من الفرائز المحدودة الكفاية حفظه فيجعلها اصلاً يفرع منه بالتدريج صنوفاً من الوجدان ارقى واشرف من محبة النفس والانتقباض عن الناس تربطه بامثاله وتعطف به على اضراجه ولا اعتماد عندي بما تسمى به هذه القوى السامية الطبيعية فلنسمها اواصر او عواطف مثلاً وانما الذي اعتمد به ويهمني ان اقله لك هو انها ليست خيالات ولا صوراً ذهنية بل هي حقائق ثابتة لها اصول واسخة في نفوسنا وفي الخارج فكل عاطفة من تلك العواطف النفيسة لها ارتباط في الخارج بطائفة من الوقائع فان الشفقة مثلاً توجد عند رؤية آلام الغير ومصائبه والشكر يوجد عند الاحسان واسداء المعروف . وحب الوطن منشأؤه الاعتياد على الثواء بالامكنة والانتفاع بما فيها من الاشياء ومحبة الناس تنشأ وتقوى بحسن المعاملة ولطف المجاملة . جميع العواطف الشريفة والسجاليا الحسنة توجد في نفس الطفل لكنها تكون كالنبات في طور البذر فالعالم النباتي مملوء بانواع من البذور ربما لا تهياً لها ذرائع النجوم والانبات طول حياتها لما يعوزها من اشعة الشمس والارض الصالحة للانبات والماء ينسب مخصوصة كذلك شأن اصول العواطف والوجدانات الانسانية فانها تحتاج في ظهورها ونموها الى مستقر ملائم ومؤثر خارجي .

كلنا يعلم ان طبع الطفل ينمو بالمؤثرات الخارجية اكثر من نموه بالبواعث النفسية فان ما نفعله امامه من الافاعيل وما نرمي به من الاقويل

هو الذي يبحث فيه الفرح تارة والترح اخرى خصوصاً في اوائل ايامه على أن ما لنا من التأثير في طبعه مباشرة لا يكاد يكون شيئاً يذكر الا ما تحوطه به امه من ضروب العناية وما تبديه له من انواع الحنو والرعاية فانه يدعو من غير شك الى حبها ولكن الطبع كما علمت يتألف من قوى متميزة كل التمايز يقتضى كل منها باعثاً خاصاً - لو وسعني ان اقول ذلك - فليس الانسان ذاتاً بسيطة بل هو على ما اعتقد اكثر تركيباً في نفسه منه في جسده

المشاعر الباطنة كالمشاعر الظاهرة في كيفية التأثير فالثانية كما تعلمين لا تتأثر الا في احوال وبشروط خارجية مخصوصة لان مشعر اللمس مثلاً لا يتأثر الا متى لاقى اشكال الاجسام وجوانبها ومشعر الذوق لا ينفعل الا بما يقع عليه من الطعوم كذلك انما لا تنبث الا عند اجتماع امور واقعية مخصوصة فان حلول الحار مثلاً يولد احساس الخوف ولكنه لا يبعث وجدان الانصاف مباشرة ورؤية الطفل ما يفهمه به اهله من صنوف البر قد تلقى في نفسه وجدان محبتهم والامل اليهم ولكنها قلما توقظ فيه احساس الاحتشام والتواضع والاحوال التي تحرك في النفس عاطفة المرؤة او الشجاعة لا تؤثر في رقة الطبع كما ان الصوت لا يؤثر في العين والضوء لا يؤثر في الاذن فكل مشعر باطنى او عاطفة نفسية تقتضى شيئاً يناسبها ويلائمها والطفل كالآلة الموسيقية كاه او تار تهتز اذا نقرت ولكنها لا تهتز اهتزازاً حقيقياً الا بما يقع عليها من الاشياء ولا تتأثر بجميع الاشياء على السواء وانما لكل انفعال فابى دائرة منها تلامه .

فاذا اردنا مثلاً ان نتلقى في نفس الطفل الذى في السابعة او الثامنة

من عمره وجدان الاحسان الى الفقراء والزمى فايانا والخطابة والوعظ لان احسن مواعظ الانجيل لا تصيده في ذلك شيئاً بل علينا ان نذهب به الى خص حثير يكون فيه هرم البت الايام قواه ونهكت الحمى جسمه وقد رقد على حصير ومد يده يسأل عواده قدح ماء بارد ولننظر ما يكون منه في ذلك الوقت فاذا هو لم يبادر بنفسه الى ملء جرة من اقرب مورد وتهديمها بين يدي الرجل المسكين فقد حق اليأس منه واما اذا تحرك الى هذا العمل الحيرى فايانا ان نسأله عن قصده به وعما يرجوه من الثواب عليه فان في شوب انبعائه الصالح الى البر بمشقال حبة من الفائدة الذاتية افساداً له .

قد بانت لك مما قدمته الناية التي أرمي اليها في قولى وهي انه اذا كان يوجد في الطفل قوى كامنة تتنبه بالمؤثرات الخارجية التي تدعوها الى الشخوص الى العمل وكان لهذه المؤثرات ارتباط ببعض الامور والوقائع الخارجية فالواجب علينا هو ان ننبه فيه بهذه الامور تنبيهاً ما عواطف الحفاوة والسخاء واحترام النفس والناس والنزاهة وغيرها من السجاياء الحميدة . فالطريقة في تربية المشاعر الباطنة لا تختلف كثيراً عن الطريقة التي بينها علماء وظائف الاعضاء في تربية المشاعر الظاهرة بل لا يوجد لتربية جميعها الا طريقة واحدة لأنها كلها تجرى على قانون واحد ليس هناك غيره .

يوجد فرق واحد بين التريبتين وهو ان الانفعالات في تربية المشاعر الباطنة وما يولدها من الاشياء تخالف ما يقابلها في تربية المشاعر الظاهرة فان الشئ الذي تنفعل المين برويته مثلاً لا تنفعل به النفس دائماً

فعلى الأمّ ان تختار نوع الآثار التي تريد احداثها في نفس ولدها وتجهلها صنوفاً واشكالاً وليس يميزها في الحقيقة شئ من الاحوال الملائمة لذلك فان حياة الانسان ليست الا مشهداً لسلسلة من الحوادث المؤثرة ترى فيها كل حين آلات تحرك عاطفة الرحمة وعقبات تدعو الى التدرع بالشجاعة ومحن أعدت ليبتلى بها الصبر ولكن ينبغي لها ان تكون سليمة الذوق كثيرة الخلق في اغتنام الفرص التي تهيوها لها الحوادث . ثم اعلي ان الكتب قليلة الجدوى جداً في هذا الموضوع فالذي عليك ان ترجي اليه في سيرتك مع « اميل » هو قوتك الحامكة وما يمليه عليك الوجدان من ضروب الالهام . ولما كان الطفل لا يلتفت الا الى الاشياء التي له فيها عمل كان من الحسن احياناً ان تدس له فيها المراقب (الحيل) لاثارة عواطفه الذاتية ولكن ينبغي هنا ايضاً الاحتراس الكلي من ظهوره على ما يتخذ في ذلك من الحيل فان شعوره بخداع المرابي له هو الخسارة الكلية .

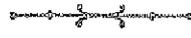
اخترع المربون انواعاً من الرياضة البدنية موافقة لانماء الاعضاء وخاصة بها . والذي أعرضه عليك أنا هو فن من فنون الرياضة النفسية تقوى به الغرائز والاخلاق لان خصائصنا ونقائصنا تقوى بالمراس والاعتیاد فالفضيلة تكتسب بالتعلم ولكن هيئات ان تتعلم الا بممارستها والارتياض بها وقد جاء في الامثال « بطرق الحديد يصير الانسان حداداً » فكذلك هو لا يكون خيراً الا بعمل الخير فالعمل العمل مادام حياً .

أرجى البحث في قانون الاخلاق الحق لأنى لا بد لي من النظر فيه عند الوصول الى محله واكتفي الآن . منه بذكر قاعدة في غاية الايجاز والبساطة وهي ان الطفل يصلح طبعه وتهذب نفسه كلما زالت منه غرائز

الأثرة وحلت محلها العواطف التي تأخذ بقياده الى الصالح العام ولكن هيات ان يكتبه هذا الناشئ اسباب سيرته مع غيره خصوصاً معنى الواجب فانه من القموض والحفاء بحيث لا ينفذ اليه ذهنه الضعيف وغاية ما يمكنه ادراكه هو رضاه عن اعماله ورضى الناس عنها ولما في اعمالنا الصالحة من اللذة التي لا تقل عن لذة اعمالنا السيئة اذا نحن لم نترب عليها لا يلبث ان يختار الاولى ويرجعها على الثانية متى ساعدناه قليلاً بتوسيط البواعث الخارجية فان الاشياء كما يوجد فيها شيطان رجيم على ما علمت يوجد فيها ايضاً في بعض الاحيان ملك كريم . فاذا كان بعضها يحرك فينا دواعي الطمع فان بعضاً آخر منها يبث فينا وجدان البر والخير .

يجب علينا ان نعين الطفل على تربية مشاعره الباطنة ولكن علينا ايضاً ان نحترم ارادته ولا نغفلها فلوانى اوتيت القدرة على تدبير ما يحتمل «باميل» من بواعث العواطف وعلى مراقبته في سيرته مراقبة تامة وامكننى بالاجمال اختراع طريقة للتربية النفسية تسود بمقاصده حتماً الى الكمال لما عولت عليها في انشائه مها كان فيها من الحسن فاني ارجو من صميم قوادي ان يكون يوماً من الايام رجلاً خيراً لحيواناً خيراً واعينه بالله من فضيلة لا يكون كسبها بسعيه وهمته ومن سعادة لا يكون هو الذي حصلها لنفسه فانه ان اوتى عفواً هذه السعادة التي هي الامتياز التعيس لمن خلقوا لها يكون قد ابتاعها بثمان غال جداً وهو خسارة اختياره . كل فرد من افراد المجتمع الذي اعد ولدنا له دائماً في مسوق على الدوام الى الجلال والمغالبة في ميدان الحياة فيجب عليه ان يقاوم مقاومة البسلاء آراء الناس وتأثير الأسي وجميع مؤثرات العصر الخادعة والأخسر معرفته قدر

نفسه واقدار الناس لان شرف الانسان وفضله مشروطان بان يكون ذا ارادة تصدر عنها افعاله وما على ان تكدر بعض الناس من هذا الشرط اللازم مادمت انا مسروراً به فانه اذالم يكن للمرء وجود مستقل ووجدان فقيم يكون شرف حياته . اهـ



﴿ ملاحظة على مقالة الشعر العربي ﴾

آفة الدعوة الى الاصلاح الفلوفى القدرح فى القديم ومدح الجديد الذى يدعى اليه ولا يخفى ان حالة العصر الحاضر تقتضى ان تكون الأدبيات موافقة للشؤون الاجتماعية فيه فنحن فى أشد الحاجة الى الشعراء والمنشئين الذين يصرفون قوتهم الخيالية الى جذب وجدان الامة الى الفضائل الاجتماعية التى ترتقى بها وتساوى الامم العزيزة وتيجول فى ميادين المعلومات التى انتهت اليها المدنية الحاضرة لاجل ذلك كما اننا فى اشد الحاجة الى احياء موات لغتنا العربية الشريفة بالاستعمال لان الامة لا تحيا بدون لغة فاذا وجد فى عالمنا الادبى من يشتغل باقامة احد هذين الركنين لا يذنبى لنا ان ان نهضم حقوقه لانه لم يقيم الركنين كليهما معاً

لهذا نلوم الاديب مصطفى صادق أفندى صاحب مقالة (الشعر العربى) على هضمه حقوق شعراء العراق المتأخرين الذين عرّف بعضهم وعرض بعض وهم فى الطبقة العليا بالنسبة لعصرهم وليت لنا عشرة فى المائة من المشتغلين بالعلم فى الأزهر وغيره يفهمون كلامهم من غير مراجعة